# حديث الدولتين

للأستاذ محمود محمد شاكر

الآن حصحص الحق ، ولم تبق فى نفس ريبة تحجبها عن رؤية الحقيقة سافرة بينة واضحة تكاد تنطق وتقول هأنذا فاعرفونى؛ فهذه بريطانيا أم المكر والدسائس قد دخلت أرض فلسطين العربية ليقول قائد جيشها يومئذ حين وطئت قدماه المدنستان هذه الأرض المطهرة : « هذه آخر حرب صليبية » ، فكان ذلك إعلاناً عما اعتمل فى نفوس أولئك الغزاة من سخائم الحقد والضغينة والعصبية الجاهلية الموروثة ، ثم لم تلبث هذه الدولة أن نكثت عهودها للعرب ، وكانت قد قطعت هذه العهود على نفسها لتستجير معونة العرب لها فى الحرب العالمية الأولى . ولم يكن ذلك فحسب ، بل إنها كانت تكيد للعرب من وراء حجاب فقطعت عهداً آخر يناقض عهودها للعرب ، وكان هذا العهد لرجل غير مسئول من الأفاقين الصهيونيين المتعصبين. فلما دخلت فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى أظهرت أنها دولة لا تستطيع أن تنقض عهدها فإن العهد هو شرفها الشامخ الباذخ النقى الطاهر، فمن أجل ذلك أصرت على أن تحمى اليهود الذين جاءوا من أرجاء بلاد الله ليحتلوا أرض فلسطين . وظلت وكالات الأنباء تطمس حق العرب فيما تنشره الصحافة ، وتجلو باطل اليهود جلاء منيراً حتى انخدعت الدنيا كلها بالترهات التى تحوكها هذه الشركات الصهيونية .

وثار العرب يطلبون حقهم ويريدون طرد هؤلاء الدخلاء من أرض الآباء والأجداد ، فوقفت بريطانيا تذود عن باطل اليهود فتفتك بالعرب فتكا وحشياً ، تعذب طلاب الحق وتهينهم وتشردهم لا ترعى حرمة لطفل ولا شيخ ولا امرأة ، وضربت الغرامة على القرى والدساكر والبلاد لأهون سبب ، وهى فى أثناء ذلك ترخى للأفاقين من اليهود وتغريهم بالعرب وتمهد لهم فى الحكومة حتى يستولوا على السلطان ، وتحميهم من شر العرب وبأسهم ، وتسلطهم على رقاب المسلمين والنصارى أهل فلسطين. وجعلت صحفها وشركات أنبائها تذيع على العالم الأكاذيب ، وتصور العرب فى صورة المتدين الباغين ، وتسمى الأحرار من أبناء إبراهيم وإسماعيل عصابات ولصوصاً وقتاكا ، وترميهم بالبهتان والكذب ، وتستر عن العالم كله فظائع ما ترتكبه فى حق الأحرار المجاهدين .

وظلت بريطانيا على ذلك الطغيان الفاجر تعمل بالدسيسة والوقيعة والكذب والتغرير ، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية ، فقام الأبالسة من رجال السياسة البريطانية يفتلون فى الذروة والغارب من هذه العرب حتى لانوا واخدعوا بأن بريطانيا سوف تنصفهم وتعطيهم حقهم يوم تضع الحرب أوزارها ، وهى فى خلال ذلك تحند اليهود فى جيوشها وتزودهم بالسلاح وتدخلهم فلسطين وتظهر الكراهة لما تفعل ، وتبطن الغدر فيما تريد ، فاحتشدت من اليهود جيوش جرارة فى فلسطين باسم الديمقراطية والدفاع عنها ، وباسم الاضطهاد الذى أنزله النازيون بهم فى أوربة، وبغير ذلك من الأسباب الكثيرة التى تعلقت بها السياسة البريطانية.

ووضعت الحرب أوزارها ، واشتد ساعد اليهود ، وهم أهل المال وحراسه ، فأعانوا بريطانيا ، ثم لم يلبثوا أن كشفوا القناع فى أمريكا وهم فيها القوة الظاهرة فى انتخاب رئاسة الجمهورية ، وأصحاب الشركات والأموال فى نواحى الاقتصاد الأمريكي ، وهم شياطين الصحافة والمستولون عن إعلاناتها وشركات أنبائها ورجال تحريرها ، فإذا أمريكا تندفع فى طريق الصهيونية غير عابئة بالحق الظاهر ، ولا بمصالحها فى بلاد العرب ، ولا بكراستها بين الأمم، ولا بسمعتها فى دواوين التاريخ . وإذا هى أشد بغياً على العرب من بريطانيا ، وإذا صحافتها أشد جلافة من الهمجى الذى لم يهذبه تأديب ولا تثقيف

هكذا كان أمر بريطانيا وأمر أمريكا ، وإذا هيئة الأمم المتحدة ترسل لجنة إلى فلسطين لتضع تقريراً ، وإذا هذا التقرير فجور ليس بعده فجور ، ولا عجب فإنها لجنة كانت من أول أمرها ضالعة مع اليهود ، فقسمت أو أشارت بأن تقسم فلسطين قسمة جائرة بين العرب واليهود . أما العجب العجاب فهو أن نرى بريطانيا العظمى ذات السلطان والبأس والبطش ، تذل لعدوان اليهود على جنودها وعلى جلد ضباطها وشنقهم واختطافهم وتعذيبهم ، ثم يأتى قرار التقسيم الذى اقترحته اللجنة ، فإذا بريطانيا تزعم أنها سوف تجلو عن فلسطين وتدع العرب واليهود

لكي يحلوا هذه المشكلة المستعصية على ساسة بريطانيا العظمى أيضاً !! ...

فماذا تريد بريطانيا بهذا الانسحاب الفاجيء بعد أن كانت هي سر النكبة التي نزلت بساحة العرب مسلمهم ونصرانيهم في فلسطين وفي سائر بلاد العربية ؟

لا جرم أنها تريد أن يقع القتال بين العرب واليهود ، وتخرج هي سالمة من هذا الصراع ، وهي في خلال ذلك سوف تعطي اليهود من المعونة والسلاح ، ويجهد أساطولها خفية في تهريب الأفاقين إلى فلسطين .

أما أمريكا فهي تضحك الثكالى بسياستها في هذه المشكلة ، فهي تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة ويقوم مندوبها في اجتماع اللجنة الخاصة ببحث مشكلة فلسطين ، ويكشف القناع عن سياسة هذه الدولة الحديثة في السياسة ويقول إن حكومته تؤيد مشروع تقسيم فلسطين ، وتؤيد سياسة الهجرة التي اقترحتها لجنة التحقيق في تقريرها ، وليس هذا فحسب ، بل تتبرع هذه السياسة الأمريكية فتقترح تجنيد قوة دولية من المتطوعين بواسطة هيئة الأمم المتحدة ، لكي تتولى الاشراف على تنفيذ قرارات الجمعية العمومية .

فماذا تريد أمريكا بهذا التدخل المفاجيء ، بعد أن كانت بمعزل عن التلوث في السياسة الاستعمارية ، ولها مصالح كثيرة في بلاد العرب تعمل جاهدة على تثبيتها وتوطيدها ؟

لا ريب في أنها تريد أن تحل محل بريطانيا في حمل خبائث الاستعمار بعد أن شاخت أم الخبائث ، ولا ريب في أن نفسها تسول لها أن اليهود أهل جد وعمل وإتقان وأصحاب مال وافر وأنهم إذا تم لهم إقامة دولة يهودية في قلب البلاد العربية ، فذلك إيذان باستيلائهم على اليادين الاقتصادية كلها ، وأن يهود إذا فعلت ذلك ضمنت لأمريكا الحق الأول في السياسة الاقتصادية في الشرق الأوسط كله . وإذن فأمريكا تريد أن تلتمس أسباباً للتدخل في مسألة فلسطين ، فهي تؤيد اليهود مستهينة بمصالحها في بلاد العرب ، لكي يقع القتال بين العرب واليهود ، وتنتهز هي الفرصة فتعين اليهود بالمال والسلاح والرجال ، ثم تلعب هي وبريطانيا لعباً خبيثاً في هيئة الأمم المتحدة لكي يجندوا جيشاً دولياً لتنفيذ مشروع التقسيم بالقوة ، ويكون قوام هذا الجيش من أهل العصبية الصهيونية الذين استشرى أمرهم في بلاد أمريكا . وبومئذ تدخل أمريكا الشرق الأوسط كله بصك توقعه لها هيئة الأمم المتحدة — أي سوق الرقيق الدولية

وإذن فالأمر كما ترى بين كإسفار الصباح ، وهو أن هاتين الدولتين الاستعماريتين تتخذان أسلوبين مختلفين في الظاهر متفقين في الباطن ، يفضي إلى حمل العرب على قتال يهود . ونعم ما أرادا

ونحن العرب نقبل منهما هذا التحريض الخبيث ، لأننا نريد أن نقاتل اليهود قتالا لا هوادة فيه ، فإن دماءنا ليست أغلى من حريتنا وشرفنا ودينا . ولعل أمريكا قد سمعت لأولئك الأفاقين اليهود الذين يزعمون لها أننا نهدد على غير طائل وإنما هي جعجعة ولا طحن لها ، فآثرت أن تكشف سوءتها وقبيح نيتها للعرب وتصالح اليهود وتتملقهم وتحطب في حبالهم . فلتعلم أمريكا ولتعلم بريطانيا أنا لسنا كاليهود ولسنا كسواهم من الذين يجرؤون لأنهم يحملون أسباب الغدر والخيانة والإبادة ، فلو لقوا أعداءهم وجهاً لوجه لفروا وانحدروا صاغرين . إن العرب ليريقون دماءهم في سبيل الحرية والشرف والنبل وإن كانت كثرة السلاح مما يعوزهم ، وفرق بين النذل الجبان والشريف الشجاع ، فهذا يكون أقل السلاح حصناً له وحافزاً ومحرضاً ، وذلك إذا رأى حملة صدق انتثرت نفسه وطار قلبه وألقى عدته وسلاحه وأغمض في الأرض هارباً . فهذه يهود وهذا نحن أيها المخدوعون ...

إن بريطانيا وأمريكا وصحافتها قد استعلنت لنا بأحقادها فلنعلن نحن أحقادنا . وإن يهود قد استفرت بقوتها وبمعونة بريطانيا وأمريكا ومظاهرتها لعدوانها علينا ، فلا تأخذنا بعد اليوم رحمة بيهود ، فقد رحمناهم يوم اضطهدوا ، وآويناهم أيام شردوا ، وأفسحنا لهم بلادنا وقد طردتهم الأمم المسيحية القديمة طرد الكلاب الجربى ، ولكنهم أنكروا ذلك ونسوه ، وعضوا اليد التي مسحت آلامهم وجروحهم على مر العصور . ونعم ما فعلت يهود ، فإنها قد أيقظتنا من غفلتنا ، ويسرت لنا أن ننقذ العالم عاجلا أو آجلا من عربدة هذا الجيل الذي طهر الله أسلافه ، وصب لعنته على الأخلاف لعنة باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ...

محمود محمد شاكر